المحاضرة التاسعة: فيلالي صالح المفكر السوسيولوجي والأديب الجزائري

يُعتبر فيلالي صالح واحدًا من الأسماء اللامعة في الساحة الأدبية والفكرية الجزائرية. فهو كاتب ومؤرخ وروائي وعالم اجتماع، وقد ترك بصمة عميقة في الفكر الجزائري الحديث. وُلِد في 13 فبراير 1953 في منطقة مسيردة بولاية تلمسان، وبدأ مسيرته الفكرية والأدبية التي كانت غنية بالإنتاج والتأثير. كتب باللغة العربية في مجالات متنوعة، سواء في الأدب أو الفكر الاجتماعي، وكرّس جهوده لتوثيق تاريخ الجزائر. كما كان من أبرز المدافعين عن اللغة العربية والهوية الثقافية الجزائرية، حيث اعتبرهما ركيزتين أساسيتين للحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري واستقلاليته الفكرية

.حياته ومسيرته الفكرية:

- رغم التحديات التي واجهها في تعليمه المبكر، إلا أن عزيمته وإصراره ساعداه على مواصلة مسيرته الأكاديمية، ليحقق في النهاية شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع. وقد تميز بتوجهه البحثي العميق الذي جمع بين التحليل السوسيولوجي والرؤية الأدبية، حيث درس المجتمع الجزائري من خلال الرواية والقصة، مؤمنًا بأن الأدب ليس مجرد وسيلة للتعبير، بل هو مرآة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي.
- في عالم الأدب، بدأ رحلته بإصدار مجموعته القصصية الأولى "حرائق البحر"، تلتها أعمال أخرى مثل "أصوات" و"فوانيس"، حيث تناول فيها قضايا الإنسان الجزائري وهواجسه. أما في المجال الفكري، فقد ساهم بشكل كبير في النقاشات المتعلقة بالثقافة الجزائرية، حيث أصدر كتبًا مرجعية، من أبرزها:
- **الأدب والإيديولوجية**« :ناقش تأثير الإيديولوجيات السياسية على الأدب، مشدداً على أهمية الحفاظ على استقلالية الإبداع الأدبي بعيداً عن أي توظيف سياسي.
- »**كشف الغمة في هموم الأمة** :«قدّم رؤية نقدية للمشهد الثقافي والسياسي في الجزائر، حيث دعا إلى ضرورة تثقيف السياسة بدلاً من تسييس الثقافة. بمعنى آخر، يجب أن تكون السياسة مبنية على وعي ثقافي عميق، وليس أن تكون الثقافة مجرد أداة تخدم الأجندات السياسية.
- »**أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر؟** :«يعتبر هذا العمل واحدًا من أبرز إنجازاته في مجال علم الاجتماع الثقافي، حيث يطرح تساؤلات عميقة حول دور النخبة الفكرية في تشكيل الوعي الجماعي. يميز بين المثقف العضوي الذي يرتبط بمجتمعه، والمثقف الذي يعيش في عزلة داخل دوائر النخبوية.

في أواخر حياته، قام بإصدار كتابه «يوميات الوجع»، الذي احتوى على تأملات فكرية وأدبية تعكس معاناته الشخصية وكذلك معاناة المجتمع الجزائري. وقد تم نشره في طبعة محدودة من قبل جمعية الجاحظية.

إسهاماته في علم الاجتماع:

تميّز فيلالي صالح بنظرته العميقة إلى المجتمع الجزائري من منظور سوسيولوجي تحليلي، حيث سعى من خلال أبحاثه ودراساته إلى تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية التي تحكم هذا المجتمع، مستخدمًا الأدب كوسيلة لفهم التحولات الاجتماعية. يرى فيلالي أن الرواية والقصة ليستا مجرد سرد للأحداث، بل هما أدوات لفهم طبيعة الصراعات الاجتماعية وكيف تؤثر العوامل الاقتصادية والسياسية على الأفراد.

كما أولى اهتمامًا خاصًا بتحليل علاقة الفرد بالمجتمع، ومدى تأثير الاستعمار والاستقلال على تشكيل الهوية الجزائرية، مؤكدًا على أن المثقف يجب أن يكون فاعلًا في مجتمعه، وليس مجرد مراقب أو تابع. وقد سعى إلى إعادة تعريف دور المثقف الجزائري في ظل التحولات السياسية والاجتماعية، داعيًا إلى ضرورة تجاوز الخطابات التقليدية نحو خطاب نقدي واقعي يتماشى مع هموم الشعب.

وفاته وإرثه الفكري:

في 29 أغسطس 1993، توفي فيلالي صالح بعد صراع طويل مع مرض السرطان، تاركًا وراءه إرثًا فكريًا وأدبيًا لا يزال له تأثير كبير حتى اليوم. لقد أسس مدرسة فكرية تدمج الأدب بالسوسيولوجيا، وكان من الأوائل الذين قاموا بتحليل المجتمع الجزائري من خلال الرواية والقصة، مما جعله رائدًا في سوسيولوجيا الأدب الجزائري. تظل أعماله مرجعًا مهمًا لكل من يسعى لفهم البنية الاجتماعية والثقافية للجزائر، حيث تحمل كتاباته رؤية نقدية جريئة تبرز القضايا الأساسية التي لا تزال قائمة حتى الآن، ليبقى اسمه حاضرًا في الأوساط الفكرية والأدبية كواحد من أبرز المفكرين السوسيولوجيين في الجزائر.